الأقلام

٢

WWW.ATTAWEEL.COM

تصدر عن
الشؤون الثقافية العامة
- وزارة الثقافة والاعلام
الجمهورية العراقية

السابع عشر
العدد الثاني
ـ ١٩٨٨ م

أسرار البحر

علم النبات في الأندلس

عادل محمد علي الشيخ حسين

بغداد / ص . ب ١٧٠٢٦

عندما جاء العرب المسلمون الاندلس أعتنوا بالزراعة وعلم النبات عنايتهم بالعلوم والاداب الاخرى . فقد جاءوا معهم بانواع جديدة من النبات ودرسوا مايتعلق بها بصورة منهجيه للبلاد الاوربية كالارز وقصب السكر والرمان والقطن والموز وحب الملك والبرتقال والليمون والخوخ والتمر وغيرها واغنوا الاعشاب بالقي نوع . وهناك العديد من الاعشاب لم يكن يعرف الاغريق عنها شيئاً البته[١] . ومن الادله الدامغه عن تأثير العرب في نشر النباتات الزراعية في اوروبا اننا نرى كثيرا من المصطلحات العربية في النبات قد نقلت الى الانكليزيه والفرنسية والاسبانية وغيرها من اللغات الاوربية بنصها العربي المعروف ، وان كان قد دخلها شيء قليل من التحريف .

ونذكر على سبيل المثال الحصر مايأتي : الخروبه (Alcarroba) والحنظل (Alhandul) والحنة (Henne) وبندق (Banduc) وقسط (Gos) وياسمين (Jasmine) والكمون (Cumin) والقطن (cotton) والسكر (sugar) والليمون (Lemon) والكافور (caphor) والزعفران (safran) وكركم (crocus) وسمسم(sesame) وسنبل (sumbul) ولبلاب (lablab) ، ونبات المر (myrrh) [٢] .

ومن اهتمام العرب الكبير بعلم النبات بالذات ترجماتهم لمعظم الكتب الزراعية القديمة المدونة بالنبطية . واليونانية والفارسية واقتباسهم منها مارأوه معقولا ومفيدا فحسنوا بذلك زراعة اراضيهم واراضي الاقاليم التي فتحوها فزادوا في غلاتها ونوعوا ثمراتها وادخلوا في الاستعمال الطبي ماهو صالح لذلك من النبات بعد ان خبروا تأثيره . وهكذا ادخلوا في الطب نباتات لم تكن معروفة عند اليونان مثل التمر الهندي والكافور والراوندوورق السنامي وغيرها . ونقل العرب ايضا النباتات الغربية الى بلادهم وعرفوا بخواصها الطبية والصحيه مثل الاترج المدور الذي نقلوه من الهند ايام المقتدر بالله العباسي ثم الى البصرة والعراق والشام[٣] .

ومؤلفات العرب الاولى في العلوم قد وضعت علمي النبات والفلاحه معا ، فلم يظهرا كعلمين مستقلين الا في وقت متأخر . كذلك لم تفصل دراسة الصيد له عن دراسة النبات[٤] في بحوثهم الاولى . ثم ان دراسات المسلمين للنبات تراوحت بين الوصف العلمي الادق ودراسة الخواص الباطنه للنباتات وكذلك مالها من المعاني الرمزية والروحية في الكون[٥] .

ومن الكتب ذات الاهمية الخاصة في تقدم علم النبات

WWW.ATTAWEEL.COM

والفلاحة العربية كتاب «الفلاحه النبطية» لابن وحشيه ، الذي يتعرض لطرق الزراعة القديمة في الشرق الاوسط ، مع اعتبارات من نطاق علوم الباطن . وهو مؤلف كان له اثر كبير في المؤلفين العرب والمسلمين الذين جاءوا بعد ذلك [٦] .

وتبدأ مؤلفات المسلمين في علم النبات في القرن الثاني للهجرة/ الثامن للميلاد بكتاب النبات لعبد الملك بن عبد العزيز البصري (المتوفى ١٤٠ هـ) وكتاب ربيع بن صبح (١٦٠ هـ) وبرسائل جابر بن حيان (٧٠٠ ـ ٧٦٥ م) في علم النبات والفلاحه . وعلماء اللغة والنحو أيضا في تلك الفترة اهتموا بالنباتات وجمعوا المعلومات عن اشكالها وخواصها واسمائها ومن بينهم الخليل بن احمد الفراهيدي (١٨٠ هـ) وابو النضر إبن شميل (٢٠٤ هـ) وابو زيد الانصاري (٢١٥ هـ) من البصرة ، وابن السكيت (٢٤٣ هـ) من الكوفه . ومن كتب هذا النوع «كتاب النبات والشجره لابي سعيد الاصمعي[٣] (٤١٦ هـ) .

وفي القرن الثالث للهجرة / التاسع للميلاد كانت بدايه ظهور الكتب المخصصة للنباتات ومنافعها الطبيه . ومن بين كتب هذه الفترة فردوس الحكمة لعلي بن ربان الطبري (توفي بعد ٢٤٠ هـ/ ٨٥٥ م) وكذلك كتب حنين بن اسحاق (توفي ٢٦٦ هـ/ ٨٧٢ م) المترجمة عن اليونانية .

وكتاب النبات لابي حنيفه الدينوري «توفي عام ٢٨٢ هـ ـ ٨٩٥ م» الذي جمع فيه النبات من الوجهتين التاريخية واللغوية ويمتاز بدقة وعناية وصف كل نوع من النبات . وفي القرن الرابع للهجره / العاشر للميلاد ظهرت عدة دراسات فلسفية عن النباتات فخصص اخوان الصفا «القرن الرابع الهجري / العاشر الميلاد» احدى رسائلهم لوصف النباتات وذكر انواعها وكيفيه نموها ، كما تعرضوا للاعداد الرمزية لاجزائها المختلفة ومكانها في مجموع النظام الكوني .

وكذلك ابن سينا ايضا في الفن السابع من الطبيعيات من كتابه «الشفاء» تناول بالتفصيل انواع النباتات من الناحيتين الفلسفيه والعلمية[٨] .

واستند العرب في دراستهم لعلم النبات على دقه الملاحظه والمعاينه واستمرار التتبع فقد كان رشيد[٩] الدين الصوري «٥٧٣ ـ ٦٣٩ هـ / ١١٧٧ ـ ١٢٤١١ م» يستصحب معه مصوراً مزوداً بالاصباغ على اختلاف انواعها ويذهب الى الاماكن التي تكثر فيها النباتات فيشاهده ويحققه ويريه للرسام فيقدر لونه وورقه واغصانه واصوله ويصور بحسبها ويجتهد في محاكاتها ، كما سلك طريقه اخرى تدل على عنايته ودقته في دراسه النبات ، وذلك انه كان يري النبات للمصور في ابان نباته وطراوته فيصوره ، ثم يريه اياه ايضا وقت كما له وظهور بزره فيصوره ، ثم يريه اياه ايضا في وقت يبسه فيصوره في هذه الحالة ، فيكون النبات الواحد يشاهده الناظر اليه في الكتاب وهو على أنحاء مايمكن ان يراه به في الارض فيكون تحقيقه له اتم ومعرفته له ابين[١٠].

ومما تقدم يمكن استخلاص دراسات العرب والمسلمين في علم النبات تركزت بصورة اساسية في تناول مسائل تتعلق[١١] بتصنيف النباتات ووظائفها ونشأتها ومراحل نموها ، ووصف اجزائها وعلاقتها بالظروف الجغرافية والمناخية المحيطه بها ، ثم خواصها بما فيها الطبية والباطنية . وقد اكد العلماء العرب على دراسة عالم النبات بنية استخلاص السلوك الروحي والعبر الخلقية والتامل ايضا في صورة على انها آثار من صنع الله . فالمعاني الروحية للاشجار والزهور والنباتات المختلفة في الحدائق العباسية والمغربيه والاندلسية كما في الاشعار والامثال العربية وفي غير ذلك من المجالات في الفن الاسلامي وفي حياة المسلمين عامة والعرب خاصة في الواقع لاتنفصل عن النواحي التي تتناول خصائص الاعشاب الطبيعية والطبية .

فدراسة النبات عند العرب والمسلمين في حقيقة الامر تشمل جميع النواحي معا .

وعند تصفحنا للكتب والدراسات التي كتبت وحللت ماأصاب الزراعة والنبات في اسبانيا العربية التي سميت بالاندلس آنذاك يمكننا ان نستشف مانال هذين العلمين من عناية بالغة وما بلغته البحوث والتجارب الزراعية والنباتيه من القوة والكمال .

ومن الامثله على ذلك ماامر بأنشائه الخليفه الاموي الاندلسي (عبد الرحمن الناصر) بمدينه قرطبه وهو حديقه نباتيه ومشهورة في القرن الثامن الميلادي ، خصصها للنباتات الطبية وبعث بكثير من المتخصصين في علوم النبات والحشائش الى الشام والعراق وبلاد فارس وبلاد العرب واليمن واواسط افريقيا والهند والقوقاز وبخارى وبلوخستان والصين وسيلان وبعض جزر الهند الشرقية (سومطره وجاوه والملايو وسنغافورة) وغيرها للبحث عن بذور للنباتات وجلب انواع من المزروعات الطبية والاقتصادية واصناف من الاشجار الغريبة

لضمها لهذه الحديقة الضخمة التي لاتزال اثارها باقيه للان تدل دلالة واضحة على عقليه العرب الشاملة المزدهرة في تلك البقاع . انها نموذج لما كان يجري ايام مجد العرب الحضاري التليد من بحوث علميه وتطبيقيه ناجحه ولها مقومات اشبه بالمختبرات الحالية .

ونتيجة حتميه لذلك ظهر عدد كبير من العلماء في مجال الزراعة والنبات ، تجنبوا ذكر الاوهام والخرافات في كتبهم .[11] وعكفوا على اجراء التجارب الرصينه في الحدائق والحقول والبساتين من اجل استنباط ماهو افضل واصلح ومفيد . يقول المستشرق الالماني ماكسي مايرهوف : (لقد نال علم الزراعه وبضمنها النبات على يد علماء اسبانيا الاسلاميه عنايه فائقه . وبلغت الدراسات والتجارب الزراعيه اقصى القوة والكمال . وقد كانت تجلب بذور النباتات من الشرقين الادنى والاوسط ، حيث تجرى عليها التجارب التطبيقية قبل زراعتها وكانت تقارن الاصناف المختلفه من النبات الواحد وتدرس خصائصها الزراعية والطبية والبيئية) .

وقد ازدهر[12] علم النبات كثيرا وبصورة اعمق واعم ابان عهد المأمون بن ذي النون امير طليطله خلال النصف الثاني من القرن الحادي عشر للميلاد . الذي عرف عنه انه يهتم بالعلم والعلماء ويشجع كل ماله علاقة بالبحث والدراسة والتتبع العلمي ، واحب بصورة متميزه دراسة الزراعة والنبات واولع بهما كثيراً ، ومن جمله مايروى عن اهتمامات المأمون الاندلسي بهذا الشأن انشاؤه حديقه نباتيه جامعه على ضفاف نهر التاجه بالقرب من مدينه طليطله عهد برعايتها الى الطبيب وعالم النبات المشهور ابن واقد المعاصر للعالم الزراعي ابن بصال .

وقد جلبت النباتات من جميع انحاء العالم فغرست فيها وجربت زراعتها وفوائدها الاقتصادية والطبية . وانشأ في هذه الحديقة الرائعة التي صارت تعرف ببستان الناعورة بعد ذلك قبه مائيه كبيرة توزع منها المياه الى كافه انحاء البستان حتى تصل الى قصر المأمون الذي كان مشيدا في وسطها[13] .

ومما هو جدير بالذكر ان معظم علماء النبات والزراعة المسلمين قد نبغوا في (الاندلس) ، وان الزراعة وتطور علم النبات لم يصلا في اي بلد آخر في العالم الاسلامي ، بل في سائر العالم المعروف يومئذ ، الى ماوصلت اليه في الاندلس من التقدم والازدهار .

ويرجع ذلك اولا الى طبيعة شبه الجزيرة الاسبانية ، وكثرة انهارها ووديانها ، وبقاعها الخصبة وتنوع اقليمها وتربتها ، وثانيا الى نبوغ اهل الاندلس في الفنون الزراعية ، وبراعتهم المثالية في فلاحه الارض وغرسها واستخراج ثمراتها[14] .

ويذكر المؤرخ العربي الاستاذ محمد عبد الله عنان : (ان اهل الاندلس من انبغ الشعوب في فلاحه الارض وتربيه الماشيه وغرس الحدائق وتنظيم طرق الري والصرف ومعرفة احوال الجو ، وكل مايتعلق بفنون الزراعة وخواص النبات .

وكانت مزارعهم وحدائقهم مضرب الامثال في الجودة والنماء . وقد نقل العرب من المشرق وشمال افريقيا الى اسبانيا ، كثيرا من المحاصيل والاشجار كالقطن والارز وقصب السكر والزعفران والنخيل الذي مازالت تزدان به الحدائق والمدن الاسبانية الجنوبيه والزيتون الذي غدا فيما بعد وحتى اليوم اعظم محاصيل اسبانيا ، وكانت بسائط شبه الجزيرة الاسبانية في ايامهم ، رياضا نضرة ، وكانت حقول القمح وغابات الزيتون وحدائق البرتقال والرمان واعراش الكروم ، من ابدع ماترى العين في وديان الاندلس ومروجها[15] .

ولاتزال الآثار في اسبانيا من القناطر والجداول الدارسة تشهد الى الآن على نبوغ اهل اسبانيا العربية الاسلامية . ولاتزال ثمة مناطق كثيرة ولاسيما في بلنسية ومرسية تقوم في اعمالها الزراعية على مشاريع الري القديمة التي خطط لها وشيدها علماء الزراعة العرب من اهل الاندلس وقد اشتهر اهل الاندلس ايضاً بغرس الحدائق وتنظيمها بصورة تدعو للروعة والدهشه .

وقد كانت حدائق الرصافة والزهراء والزاهرة وطليطلة واشبيلية بدائع تشهد لهم بوفرة البراعة وحسن الذوق ، وكان اشعاعها النفسي الممتاز مستقى لخيال الشعراء والكتاب ، ولاتزال هذه البراعة حتى اليوم ، عَلَمًا على جمال الحدائق الاندلسية .[16]

ومن المتفق عليه ان الفنون الزراعية واصول دراسة علم النبات انتقلت على يد الرواد المسلمين ، وعلى يد محلات العشابين المسلمين المتعددة التي قامت خلال القرن العاشر الميلادي في جنوبي فرنسا ، وفي ليجوريا وجنوبي سويسرة الى

شعوب هذه البلدان[18] .

ويقال ان القمح الاسود الذي يعتبر اليوم من اهم محاصيل فرنسا الجنوبية انما هو أثر اولئك الرواد ، فهم الذين نقلوا بذوره الى فرنسا ، وهم ايضا الذين نقلوا فسائل النخيل الذي لاتزال تزدان به شواطيء الريفييرا .

«مشاهير علماء النبات في الاندلس»

(١) ابن جلجل (ابو داود سليمان بن حسان بن جلجل) «توفي بعد ٣٨٤ هـ ـ ٩٩٤ م» ، ظهر في مدينة قرطبة ، وعاصر الخليفة هشام بن عبد الحكيم المؤيد بالله واصبح طبيبه الخاص . اهتم واعتنى واجرى تجارب خاصة على مجموعة من النباتات من اجل الكشف عن فوائدها الطبية ، وعارض ديسقوريدس في كثير من ارائه في الادوية وبصورة خاصة فيما يخص النباتات .

من مؤلفاته :

١ـ كتاب تفسير اسماء الادوية المفردة من كتاب ديسقوريدس . الفه سنة ٣٧٢ هـ .

٢ـ كتاب الترياق اورسالة التبيين فيما غلط فيه بعض المتطببين .

وهذا الكتاب يدل على ان علم النبات الطبي قد بلغ درجة عظيمة من التقدم في الأندلس خلال القرن الرابع الهجري[19] .

٣ـ مقالة في ذكر الادوية التي لم يذكرها ديسقوريدس في كتابه مما يستعمل في صناعة الطب وينتفع به ، ومالا يستعمل لكيلا يغفل ذكره . واوضح ابن جلجل معتذراً عن ديسقوريدس فيما اغفله في ذلك بقوله اما لانه لم يره ولم يشاهده عيانا ، واما لان ذلك كان غير مستعمل في دهره وابناء جنسه . وهذا هو شأن اخلاق علماء العرب الفاضلة في عدم الطعن بعلوم وعلماء الامم الاخرى .

(٢) ابن وافد (الوزير ابو المطرف عبد الرحمن بن محمد بن عبد الكبير بن يحيى بن وافد بن مهند اللخمي (٣٨٧ ـ ٤٦٧ هـ ٩٧٧ ـ ١٠٧٤ م) ظهر في مدينة طليطلة في ايام الامير ابن ذي النون . وهو من اشراف واغنياء الاندلس . اهتم وشغف بكتب جالينوس وارسطو طاليس وديسقوريدس بشكل خاص . واشتهر في علم النبات الطبي وضبط منها مالم يضبطه ويرتبه ويصححه احد في عصره . وانتشرت كتبه في فرنسا وهولنده وايطاليا وبقيت اهم مصادر النباتات الطبية ردحاً من الزمن في اوروبا . وله من الكتب الادوية المفردة ، كتاب الوساد في الطب ، تجربات في الطب ، كتاب المغيث ، كتاب تدقيق النظر في علل حاسه البصر[20] .

(٣) ابن سمجسون (ابو بكر حامد بن سمجسون «توفى ٣٩٢ هـ / ١٠٠١ م» ، من اهم علماء الاندلس في النبات ، اجهد نفسه في وضع كتاب مهم ضم فيه آراء المتقدمين في الادوية المفردة نقل عنه ابن البيطار[21] .

عاصر الامير المنصور الحاجب محمد بن ابي عامر (المتوفى سنة ٣٩٢ هـ) .

من مؤلفاته : كتاب الادوية المفردة وكتاب الاقراباذين .

(٤) البكري (ابو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري) (توفى سنة ٤٨٧) ، هو من اهل مدينة مُرْسيه ثم استوطن قرطبة . واشتهر كونه من اكابر علماء اللغة والفقه والعلوم المختلفة والانساب . ولكن الذي عرف به معرفته الجيدة بالادويه المفردة وقواها ومنافعها واسمائها ونعوتها ومايتعلق بها . ومن كتبه التي تخص النبات كتاب (اعيان النبات والشجريات الاندلسية) . وقد استفاد منه ابن البيطار كثيراً في تاليف كتبه .

(٥) الغافقي (ابو جعفر احمد بن السيد الغافقي) (توفي سنة ٥٦٠ هـ ـ ١١٦٤ م) .

من علماء اهل الاندلس الذين اشتهروا بمعرفتهم في مجال الادوية المفردة والنباتات الطبية . ساح كثيراً في اسبانيا وشمالي افريقيا وجمع نباتات كثيرة متنوعة ودرس خواصها الطبية والغذائية ووضع فهرساً كبيراً ذكر فيه كل نبات حصل عليه باسمه العربي واللاتيني والبربري .

وترك كتاباً هاماً هو «منتخب كتاب جامع المفردات» وقد لخصه ابو الفرج غريغوريوس المعروف بابن العبري (المتوفى سنة ٦٨٤ هـ) . وقد نشره مع ترجمته الانكليزية وحققه وشرحه الدكتور ماكس مايرهوف والدكتور جورجي صبحي في القاهرة . وقد جمع الغافقي في كتابه هذا ماجاء من اقوال المتقدمين والمتأخرين واضافاته العديدة من المعلومات الجديدة من خبرته . وكان وصفه للنباتات المختلفة وصفاً بديعاً وبالغ الدقة والامانة العلمية مع وضع الاسماء اللاتينية والبربرية الى جانب الاسم العربي . وعمله هذا جعله يعتبر من ارفع النباتيين مكانه في العصور الوسطى بصورة عامة .

(٦) الشفرة (محمد بن علي فرح) (لم تعرف بالضبط سنة وفاته) الملقب بالشفرة لكونه جراحاً . وهو طبيب وعالم نبات اندلسي فاضل ، قام بجمع الاعشاب وبعض النباتات ذات الطابع العلاجي من ابعد النواحي ذات المسالك الوعرة والطرق المجهولة في جنوبي اسبانيا . وانشأ حديقة نباتيه في وادي آنس . الا انه مع الاسف الشديد قد ضاع كتابه الذي وضعه عن النبات[٢٢] .

(٧) الشريف الادريسي (ابو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله ابن ادريس الحسيني) (٤٩٣ هـ ـ ٥٧٣ هـ/ ١١٠٠ ـ ١١٨٠ م) ويلقب في الاندلس بالعالي بالله ، وهو من سلالة العلويين . تثقف في قرطبة . وهو بالاضافة الى كونه عالماً ممتازاً بالنبات ، فانه رحالة له افاق واسعة في معرفة الارض التي وطئتها قدماه لذلك فقد كان وصفه للنباتات ، المختلفة لايختلف كثيراً عن الوصف العلمي الحديث .

وله من الكتب النبات وكتاب الادوية المفردة وكتاب الجامع لصفات أشتات النبات في اربعة اجزاء ويوجد منه نسخة في خزانة الفاتح باستنبول بتركيا (رقم ٣٦١٠) وكتاب الصيدلة .

ولنأخذ بعض الامثلة على وصف الشريف الادريسي لمجمل النباتات التي ذكرها في كتبه ففي مدينة شرشال شمال ايران وصف هذا النبات حيث قال (سفرجل كبير الجرم ذو أعناق كأعناق القرع الصغار وهو من الطرائف غريب في ذاته) . وكان لايترك اية شاردة او واردة عن اية نبته اوعشب او شجر الاذكر نوعه وصفاته العامة وفوائده الاقتصادية او الطبية . ولنبق معه يصف لنا ماشاهده ولاحظه في بلاد المغرب . قال «فعند جبل مجاور لمدينة بجايه في المغرب ، وفي اكتافه جل من النبات المنتفع به في صناعة الطب مثل شجر الحضض والستولوقندريون ، والبرباريس والقنطوريون الكبير والقسطون والافسنين ، وهذه اعشاب مفيدة جداً لمعالجة الامراض» .

وعن قصب السكر قال : انه قصب يحتوي لبه على مادة حلوة ولذيذة ، ذات لون ابيض ، مسمر وغليظة القوام تشبه النشاوها منافع طبية ويعمل منها العديد من المواد الغذائية[٢٣].

(٨) ابو العباس بن الرومية (ابو العباس احمد بن محمد بن مفرج ابن ابي الخليل الاموي الاشبيلي النباتي المعروف بابن الرومية) . (٥٦١ ـ ٦٣٧هـ / ١١٦٥ ـ ١٢٣٩م) ولد وترعرع في اشبيليه وهو في الاصل من امرة قرطبية من موالي بني امية .

ساح في مصر والشام والعراق والحجاز وتعرف على انواع نباتاتها في مواضعها التي لاتنبت في بلاد الاندلس او المغرب التي عرفها وخبرها شبراً شبراً .

وقد تمكن ان يحقق اصول مجموعة ضخمة من الاعشاب والنباتات المختلفة وخواصها وميز فوائدها بعكس العلماء الاخرين الذين ركزوا جل اهتمامهم على النباتات الطبية[٢٤] . وقضى ابن الرومية في رحلاته الدراسية والاستقصائية في شمال افريقيا وبلاد المشرق مذ بداها بعد سنة ٥٨٠ هـ (١١٨٤م) بقليل زهاء ثلاثين سنة ولقي خلال تجواله جمهرة كبيرة من العلماء المشارقة (بمصر والعراق والشام ومكه) ، واخذ وروى عنهم . وبعد عودته استقر في مدينته اشبيلية وافتتح بها معشباً اشبه بالصيدلية للنباتات الطبية . حيث اصبح مقصداً للاطباء والنباتيين وطالبي العلاج والدواء من سائر انحاء الاندلس وشمال افريقيا .

قال ابن عبد الملك المراكشي في (الذيل والتكملة) يصف ابن الرومية ورحلاته وبحوثه : «امام المغرب قاطبة فيما كان سبيله ، جال بالاندلس ومغرب العدوة ، ورحل الى المشرق فاستوعب المشهور من افريقية ومصره وشامه وعراقه وحجازه ، وعاين الكثير مما ليس بالمغرب وعارض كثيرا فيه كل ماامكنه ، ولم يزل باحثاً على حقائقه ، كاشفا من غوامضه حتى وقف منه مالم يقف عليه غيره ، ممن تقدم في الملة الاسلامية ، فصار واحد عصره فردا ، لايجاريه فيه احد باجماع اهل ذلك الشأن»[٢٥] . ولابن الرومية مؤلفات عديدة في الحديث وعلم النبات ومن اهمها التي نحن بصددها .

(١) شرح حشائش ديسقوريدس وادوية جالينوس والتنبيه على اوهام ترجمتها .

(٢) التنبيه على اغلاط الغافقي .

(٣) الرحلة النباتية .

(٤) المستدركة . وغيرها

ويذكر الاستاذ المؤرخ محمد عبد الله عنان ان له كتاباً في الادوية المفردة على نمط كتب بني زهر في ذلك ، وله غير ذلك مصنفات ورسائل عديدة . بيد اننا لم نتلق مع الاسف من هذا التراث الحافل سوى القليل ، ومعظمه فصول وشذور نقلت الينا على يد المتأخرين[٢٦] .

(٩) ضياء الدين بن البيطار ، (الحكيم الاجل العالم ابو محمد عبد الله بن احمد المالقي النباتي ابن البيطار) ، اوحد زمانه وعلامة العرب في معرفة النبات ، وتحقيقه واختباره ، ومواضع نباته

ونعت اسمائه على اختلافها وتنوعها[٢٧] . ولد في مالقه باسبانيا في اواخر القرن السادس الهجري (الثاني عشر الميلادي) درس في اشبيليه واخذ عن اساتذته ابي العباس ابن الرومية النباتي وعبد الله بن صالح وابي الحجاج وتشرب بنباتها وعرف فوائدها وخصوصاً الطبية منها رحل الى المشرق وعمره في العشرين زار خلالها المغرب واقطار شمال افريقيا وبضمنها مصر ومن ثم ساح في سوريا وبلاد الاغريق وايطاليا وتركيا حيث تعرف على انواع نباتاتها واجتمع باكثر علمائها في علوم النبات واخذ عنهم الشيء الكثير . قال عنه ابن ابي اصيبعة : (كان اول اجتماعي به بدمشق سنة ٦٣٣ هـ ـ فرأيت من حسن عشرته وكمال مروءته ، وطيب اعراقه ، وجودة اخلاقه وكرم نفسه مايفوق الوصف ، ولقد شاهدت معه في ظاهر دمشق كثيراً من النبات في مواضعه وقرأت عليه ايضا تفسيره لاسماء (كتاب ادوية ديسقوريدس) فكنت اجد من غزارة علمه ودرايته في الادوية المفردة مالم اجده في غيره من العلماء)[٢٨] .

نزل مصر فقربه الكامل محمد بن ابي بكر ابن ايوب وجعله رئيساً لسائر العشابين واصحاب البسطات وقد اعتمد عليه في الادوية المفردة والحشائش . وعندما توفي هذا الملك في دمشق التحق بحاشية ابنه الملك الصالح نجم الدين ايوب ابن الملك الكامل وكانت له مرتبة عليا في ايامه .

ثم عاد الى دمشق مرة اخرى حيث توفي سنة ٦٤٦ هـ / ١٠٤٨ م نتيجة تناوله عقاراً ساماً حسب رواية صاحب نفح الطيب[٢٩] .

وقد ترك ابن البيطار كتباً كثيرة الا ان اهمها في مجال علوم النبات كتابان هما المغني في الادوية المفردة ، والجامع لمفردات الادوية والاغذية الذي جمع فيه معلومات يونانية وعربية في علم النبات والاقرباذين ، ولاسيما معلوماته الخاصة المكتسبة من ابحاثه وتجاربه الشخصية التي كان يجريها بنفسه .

وقد رجع الى اكثر من ١٥٠ مؤلفاً وكتاباً وذكر فضل كل منها في موضوعه وقد وصف اكثر من (١٤٠٠) صنف من الادوية المختلفة مابين نباتي وحيواني ومعدني منها (٣٠٠ صنف) جديد لم يتناولها احد قبله من علماء النبات والادوية . ووصفه دقيق للغاية وهو يذكر المترادفات ، كما يذكر ترجمتها بالاغريقية وبالفارسية والبربرية والاسبانية الدراجة . وتعتبر مؤلفات ودراسات ابن البيطار في جملتها تقدماً بعيد المدى . ولكن بالرغم من ذلك كان تاثيره قليلاً في اوروبة وذلك لان تيارات الترجمة العربية اللاتينية كانت قد اخذت طابعها النهائي .

بعكس ذلك درست كتب ابن البيطار في العالم العربي والاسلامي دراسة مستفيضة واسعة المدى وانتفع بها علماء النبات والصيدلة المتأخرون[٣٠] .

وقد طبع كتاب الجامع لابن البيطار في ٤ أجزاء بالقاهرة سنة ١٨٧٥ ، وترجم للفرنسية بقلم لوكليرك وترجم للالمانية ايضاً بقلم زونتها بمر في جزأين سنة ١٨٤٠ ـ ١٨٤٢ . وقد تلتها عدة طبعات في مصر وبغداد وغيرها . الا انه لحد الآن لم يحقق ويدرس دراسة علمية يستحقها هذا الكتاب الثمين في ضوء مستجدات العلم الحديث .

اثر ابن البيطار في تقدم العلوم النباتية :

لقد كان لابن البيطار الدور العظيم في الانتقال بالزراعة والنبات الى مرحلة جديدة وكان لمؤلفاته الاثر البعيد المدى فيمن جاءوا بعده من علماء زراعيين ونباتيين ، كما كان لبحوثه النباتية تأثير اخص ظهر في عصر النهضة الاوربية الحديثة . لقد كان ابن البيطار عالماً نباتياً عربياً مبتكراً ، اضاف الى العلوم النباتية العربية والعالمية مادة غزيرة جديدة من عنده . ويقول ويل ديوارنت في موسوعته قصة الحضارة (الجزء الرابع/ الترجمة العربية ـ ص ٣٢٩) مايلي : (ويدل كتاب الجامع لمفردات الادوية والاغذية) على سعة العلم وقوة الملاحظة وهو اعظم كتاب في علم النبات) ، وظل ابن البيطار المرجع الاصلي في علم النبات حتى القرن السادس عشر ، وجعل منه اعظم نباتي في القرون الوسطى . وقد استعمل كتاب ابن البيطار في تكوين اول معشبة نباتية واول صيدلية انكليزية ، اعدتها كلية الطب في عهد (جيمس الاول) ، وكان كتاب الادوية المفردة أحد أسس تكوين علم العقاقير الحديثة ، وقد ترجم عدة مرات الى اللاتينية وطبع ثلاثاً وعشرين مرة خلال القرن الخامس عشر وبعده . وظلت بعض اجزاء هذا الكتاب موضع العناية فترة طويلة ، فقد أعيد نشرها في مدينة كريمونا سنة ١٧٥٨ م .

لقد اضاف اليها جديدا حقا ، وهذا الجديد يتمثل في اسماء النباتات والعقاقير الحديثة التي ابتكرها اعتمادا على تجاربه الخاصة على النباتات وبذلك وضع الاسس الاولى لربط النبات ، بتصنيفه صيدليا وطبيا . لقد اختلف ابن البيطار عن باقي علماء النبات العرب الاخرين في انه كان عشاباً وطبيباً نباتياً ، يتحدث عن النبات واوصافه : اصله وساقه وورقه وزهره وثمره ، حتى لايخلط بين نبات نافع واخر ضار ، ثم يعقب على ذلك بذكر مايستخلص منه من عقار مفيد في العلاج ، وكيف يؤخذ ، ومتى

يؤخذ وكيف يعد الدواء وكيف يتعاطى ومقدار الجرعه . ان المنهج الذي اختطه ابن البيطار في رسم الصورة في تأليف كتبه ولاسيما الجامع لمفردات الادوية والاغذية ، انه ذلك المنهاج الذي سبقه اليه الشريف الادريسي في كتابه (الجامع لصفات أشتات النبات) . والاسلوب الذي اتبعه ابن البيطار في عرض مواد كتابه في النباتات والاعشاب والعقاقير الطبية . . يجري على نمط أسلوب الشريف الادريسي وهذه امثلة مما قاله ابن البيطار في النباتات : (زيتون) : هو شجر معروف وهو صنفان : بستاني وبري ، والزيتون هو ثمر الشجرة ، الزيتون ـ زيتون الماء ، وزيتون الزيت ، وكلاهما بارد يابس معتدل بين الحرارة والرطوبة . واما الرطوبة السائلة من خشب الزيتون الرطب ، اذا التهب فيه النار ، ولطخت به الابثرة والحزاز والملكونيانفع منها ، واذا مزجت مع التمر وخلط بشحم ودقيق وضمد به الاظفار العارضة منها الاثار السمجة أذهبها ، واذا دق ورق الزيتون واعتصر ماؤه وطبخ مع مقدار مثله من عسل نحل ، وقطر في الاذن نفع من الحول العارض للاطفال .

وتحدث عن (اطلايلال) واكتار وآغرغيس يقول : وهو قشر اصل شجرة البرباريس ، واهل مصر يسمونه عودريح مغربي ، وابهل ، ويقول زعمت جماعة من الاطباء انه العرعر وهو خطأ هو صنف من العرعر ، كثير الحب ، وهو شجر له ورق شبيه بورق الطرفاء ، وثمرته حمراء دسمة تشبه النبق في قدرها ولونها ، وماداخله مصروف له نوى ، ولونه احمر ، اذا نضج ، كان حلوا في المذاق وفيه بعض طعم القطران ، ويجمع في وقت قطاف العنب .

ويقول عن الاترج كثير بارض العرب ، وهو مما يغرس غرساً ، ولايكون برياً وتبق شجرته عشرين سنة تحمل وحملها مرة واحدة في السنة وورقها مثل ورق الجوز ، وهو طيب الرائحة وتفاحه شبيه بنور النرجس ، وهو زكي ولشجر شوك شديد . ثم ينقل من خواص الاترج ماقاله ابن سينا ، وابن رضوان واسحق ابن سليمان وغيرهم . وتحدث عن الاشخيص والاشنان وقال انه اجناس كثيرة وكلها من الحمض والاشنان هو الحرض ، وهو الذي يغسل به الثياب ، نبات لاورق له وله أغصان دقاق شبيه بالعقد ، وهي رخصة كثيرة المياه ، ويعظم حتى يكون له خشب غليظ يستوقد به ، وناره حارة جدا ، ورائحة دخانه كريهة ، وطعمه يميل الى الملوحة ، وهو من الحمض . ويقول عن الافيون لبن الخشخاش الاسود . لايعرف الابديار مصر وخاصة بالصعيد بموضع يعرف باسيوط ، فأنه منها يستخرج ، ومنها يحمل الى سائر البلدان .

وعن امير باريس هو البرباريس منه اندلسي ورومي وشامي ، يجلب من جبل بيروت وجبل بعلبك وهو أجود من الرومي عند باعة العطر بمصر والشام ، وهي شجرة خشنة النبات خضراء ، تضرب الى السواد ، تحمل حبا صغيرا بنفسجياً ـ وامهب ابن البيطار في الحديث عن الانجدان ـ والاينسون والانجرة وانا غالس ، والايهقان والبابونج وقال انه ثلاثة اصناف ، والفرق بينها في لون الزهرة ، وله أغصان طولها نحو شبر شبيه باغصان التمنش ، وفيها شعب وورق دقاق صغار ، ورؤوس مستديرة صغار في باطن بعضها زهر ابيض وفي بعضها زهر مثل لون الذهب وفي الذي ظهر من الزهر على الرؤوس يظهر باستدارة حولها ، ويكون لونه ابيض واصفر ومزفيري وهو في قدر زهر السذاب ، وينبت في اماكن خشنة من الطرف ، ويقطع في الربيع .

وكذلك وصف الثوم والثيل والجاوشير والجلنار والجلبان وجوز بواوهو جوز الطيب ، في قدر العفص سهل الكسر ، رقيق القشر ، طيب الرائحة . وعالج ابن البيطار في كتابه الجامع مئات اخر من انواع النبات فتكلم عن حب الزلم وحب الملوك وحب الرشاد وحب القلب وحب الفلفل والحدق والحرمل والمسك والحضض والحلبة والهلتيت والحماض والحنظل والحندقوقى والحس والخروع والخشخاش والخلاف والخلنجان وخيار شنبر والدفلى ، والراوند والربوق والرازيانج والرتم والرياس والزقوم والزنجبيل والزيزفون والكمون والكركم والكراوية واللبخ واللبلاب والمحلب والمروالنارنج والهندباء والياسمين والناردين والبيبنوت واليتوع واللوف وغيرها .

(١٠) ابن ميمون (ابن عمران موسي بن ميمون) . ولد في سنة ١١٣٥ م في مدينة قرطبة بالاندلس . درس نباتات اسبانيا والبرتغال وجنوبي فرنسا وبعض الجزر المجاورة لها . ثم استقر في مدينة فاس المغربية . ثم ساح في فلسطين ومصر حيث استقر بها سنة ١١٦٦ م . واشتغل في مهنة الطب فاشتهر بذلك مما دعا الخليفة الايوبي صلاح الدين ان يجعله طبيبه الخاص وقد ترك ابن ميمون مؤلفات عدة منها في علم النبات كتابه «العقاقير البسيطة» الذي اعتمد فيه على مؤلفات علماء النبات الاندلسيين من امثال ابن جلجل وابن وافد وابن سمجون واحمد الغافقي وابن جناح[٣١] .

وقد اكتشف مخطوط كتاب العقاقير البسيطة احد العلماء مصادفة في مكتبة ايا صوفيا باستانبول بتركيا تحت رقم (٣٧١١) في خمسة فصول مرتبة على الحروف الابجدية .

وهذه بعض الامثلة فيما جاء في نص ابن ميمون المشار اليه سلفاً :

اترج : هو التفاح المائي[٣١] .

الهوامش

(١) مجلة دعوة الحق ، ص ٥٤ .

(٢) مجلة المورد ، العدد ٤ ، مج ٦ ، ص ٢٠٣ .

(٣) ابحاث الندوة العالمية الاولى لتاريخ العلوم عند العرب ١٩٧٧ ، ص ٢٤٧ .

(٤) العلوم في الاسلام ، تونس ١٩٧٨ ، ص ٥٩ نقلا عن تاريخ علم النبات عند المسلمين (كتاب هـ . ف . ماير . رسالة في النبات ، مج ٣ ، كمبردج ١٨٥٦) . (ف . سزجن ، رسالة في اعمال العرب في النبات ، ج ٤ ، ١٩٧١ ، ص ٣٠٣ ومابعدها) .

(٥) العلوم في الاسلام ، ص ٥٩ .

(٦) المصدر السابق ، ص ٥٩ (هناك خليط عجيب من التنجيم والسحر وعلم النبات في هذا المؤلف جلب اليه كثيراً من علماء الغرب ومن بحاثي المسلمين فاقبلوا على دراسته والاطلاع على موجز مما يعرف اليوم من معلومات ابن وحشية .

(٧) المصدر السابق ، ص ٥٩

(٨) المصدر السابق ص ٦٠

(٩) العرب والعلم في عصر الاسلام الذهبي ، ص ٤٣ . دراسات في تاريخ العلوم عند العرب ، ص ٣٣٠ .

(١٠) طبقات الاطباء ، ص ٧٠٣

(١١) العلوم في الاسلام ، ص ٦٠

(١٢) الحضارة الاسلامية في الاندلس ، ص ٦٢ .

(١٣) مجلة المورد ، العدد ٤ ، مج ٦ ، ص ٢٠٤ .

(١٤) علم الفلاحة عند المؤلفين العرب بالاندلس ، ص ٣٥ .

(١٥) مجلة العربي ، العدد ١٤٤ ، ص ٨٧ .

(١٦) نفس المصدر السابق ، ص ٨٨ .

(١٧) نفس المصدر السابق ، ص ٨٨ .

(١٨) نفس المصدر السابق ، ص ٨٨

(١٩) تاريخ النبات عند العرب ، ص ٧٩ ـ ٨٠ ، تاريخ الزراعة القديمة ، ٣٠٣ .

(٢٠) المصدر السابق ، ص ٨٠

(٢١) المصدر السابق ، ص ٨٠ ـ ٨١ .

(٢٢) المصدر السابق ، ص ٨١ .

(٢٣) ابحاث الندوة العالمية الاولى لتاريخ العلوم عند العرب ، ص ٢٤٨ .

(٢٤) مجلة الزراعة العراقية ، مج ٢٧ ، ص ٩٤ .

(٢٥) مجلة العربي ، العدد ٨٣ ، ص ١٧ .

(٢٦) المصدر السابق ، ص ١٧

ارز : منه يستخرج الزفت ـ والسرو نوع من الارز .

اسطوخودوس ! الذي يستعمله الاطباء بالمغرب وفي ديار مصر هو هذا النبات الذي يسميه عامة اهل المغرب الحلحال .

بطيخ : نبات مشهور بهذا الاسم في جميع البلاد العربية ومنه مدور ومنه مستطيل ، والمستطيل منه هو الذي اسمه باليوناني ملونيا ، واهل مصر يسمونه البطيخ الاصفر لانهم يسمون الدلاع البطيخ الاحمر .

(٢٧) المصدر السابق ، ص ١٩

(٢٨) تاريخ النبات عند العرب ، ص ٧٣ .

(٢٩) تاريخ الزراعة القديمة ، ص ٣٢٩ .

(٣٠) نفح الطيب ج٢ ، طبع ليدن ، ص ٢٥٦ . مجلة المجمع العراقي ، مج ٢٧ ، ١٩٧٦ ، ص ٣٠ . تاريخ النبات ، ص ٧٤ . تاريخ الزراعة القديمة ، ص ٣٢٩ .

(٣١) تاريخ الطب وآدابه واعلامه ، ص ٣٩٥ ـ ٣٩٦ .

(٣٢) احياء التذكرة في النباتات الطبية ، ص ٥٠

المراجع

(١) نفح الطيب في غصن الاندلس الرطيب للمقري ج ٢ ، طبع ليدن .

(٢) كتاب طبقات الاطباء والحكماء لابن جلجل ، تحقيق فؤاد سيد ، القاهرة ١٩٥٥ .

(٣) العلوم في الاسلام / سيد حسين نصر ، تونس ١٩٧٨

(٤) دراسات في تاريخ العلوم عند العرب/ حكمت نجيب عبد الرحمن ، بغداد ـ ١٩٧٧

(٥) العرب والعلم في عصر الاسلام الذهبي/ توفيق الطويل ، القاهرة ـ ١٩٦١

(٦) تاريخ النبات عند العرب/ د . احمد عيس القاهرة ـ ١٩٤٤

(٧) تاريخ الطب وآدابه واعلامه/ د . احمد شوكت الشطي ، دمشق ١٩٦٧

(٨) تاريخ الزراعة القديمة/ عادل ابو النصر : بيروت ١٩٦١

(٩) احياء التذكرة في النباتات الطبية والمفردات العطارية ، د . رمزي مفتاح/ القاهرة ـ ١٩٥٣

(١٠) علم الفلاحة عند المؤلفين العرب بالاندلس/ خوس مانويه مياس بيكروسا ، تعريب عبد اللطيف الخطيب ، تطوان المغرب ١٩٥٧

(١١) الفاظ من جامع المفردات لابن البيطار ، د . سليم النعيمي ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، مج (٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩) بغداد (١٩٧٦ ـ ١٩٧٨)

(١٢) ابو العباس بن الرومية/ الاستاذ المؤرخ محمد عبد الله عنان ، مجلة العربي ، العدد ٨٣ ، الكويت ـ ١٩٦٥ .

(١٣) علماء الزراعة الاندلسيون/ للاستاذ محمد عبد الله عنان ، مجلة العربي ، العدد ١٤٤ ، الكويت ـ ١٩٧٠

(١٤) ملخص عن تاريخ الصيدلة والنبات عند مسلمي اسبانيا/ ملكس ملرهوف ، مجلة الاندلس ، ج ٣ ، الرباط ـ ١٩٣٥

(١٥) علم الزراعة والنبات من خلال كتاب الفلاحة لابن بصال ، عادل محمد علي ، مجلة المورد ، العدد ٤ ، مج ٦ ، بغداد ـ ١٩٧٧

(١٦) النبات في وصف الرحالة العرب/ عادل محمد علي ، مجلة الزراعة